مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 12 عدد: 2، يونيو 2023
ص: 488 - 503 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

تجليات الثورة التحريرية في رواية لونجة والغول، لزهور ونيسي.

The Manifestations of the Editorial Revolution in the Novel of Loundja and the Beast of Zohour Wanissi

حنان بن قيراط.*
Hanane Benkirat
جامعة 08 ماي 1945، قالمة (الجزائر)
University 08 Mai 1945 Guelma. (Algeria)
benkirat.hanane@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/12/13	تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص البحث

كثيرًا ما ألهمتْ الثورة التحريرية قرائحَ المبدعين الجزائريين والعرب شعرًا ونثرًا على السواء، فمثّلت الحدث البارز ونقطة تحوّل في مسار الجزائريين وتاريخ العالم آنذاك ضدّ الاستعمار الفرنسي. ولم تكن الرواية الجزائرية بمنأى بعيدٍ عنها، بل استمدّتْ منها مادتها الخام ونهلتْ من ينابيعها وتنفّستْ في جوّها، وكان لها نصيبها في الطرح النسائي حتى عند **زهور ونيسي** في رواية **لونجة والغول** كونها عايشتْ الحدث والواقع الاستعماري الذي تفاعلتْ معه بالأمس في أحداثها واليوم بقلمها وإبداعها، ومثّلتْ عاطفةً صادقةً وجيّاشةً لتُبرز صورة الثورة من جهةٍ، وصورة المرأة الثورية من جهةٍ أخرى.

الكلمات المفتاح : ثورة تحريرية، مرأة ثورية، زهور ونيسي، لونجة والغول.

Abstract :

The liberation revolution has often inspired Algerian and Arab creators, both in poetry and prose, it represented a prominent event and a turning point in Mister Algerian and world history at the time against French colonialism. And the algerian novel was not far from it but rather it derived its raw material from it, drew from its springs, and she had her share in the feminist discourse even at **Zohour Wanissi** in her novel **Loundja and the beast**, because she lived through the event and colonial reality with which she interactedyesterday in her events and today with her pen and creativity. She represented a sincere and passionnate emotion to highlight the image of the revolution on the one hand and the revolutionary woman on the other.

Keywords: liberation revolution, revolutionary woman, Zohour Wanissi, Loundja and the beast .

* حنان بن قيراط، benkirat.hanane@univ-guelma.dz

مقدّمة:

كانت الثورة التحريرية المجيدة ولازالت مصدرَ إلهام كثيرٍ من الأدباء في مختلف إبداعاتهم، نظرًا لتجذّرها في المجتمع الجزائري ولما تركته من آثارٍ عميقةٍ على عدّة أصعدةٍ؛ وقد عبّروا عن قداستها وجسّدوا تأمّلاتهم ومواقفهم منها، فَحَضَرَ المشهد التعبيريّ للثورة المجيدة في مختلف الفنون من المسرح والموسيقى والرسم والأدب... وكان للرواية أيضًا نصيبها من تصوير وتمثيل أبطال نوفمبر وشهدائه وأحداثه، فحاولتْ الأديبة **زهور ونيسي** تجسيد وقائع ثوريةٍ مجيدةٍ في روايتها **لونجة والغول** على غرار كثيرٍ من الروائيين قبلها وبعدها؛ فكانت رائدةً في هذا المجال وبارزةً في ميدان الكتابات النسوية بعدما عُرفتْ بالتزامها بالقضايا المرتبطة بالوطن والمجتمع والمرأة في مختلف ما كَتَبَتْه من قصصٍ وروايات ومقالاتٍ... وهو ما سنسعى لدراسته من خلال إثارة مجموعة من الإشكاليات والإجابة عنها: ما مدى فاعلية الثورة الحريرية في الإبداعات الأدبية؟ كيف تمثّلت الروايةُ ثورةَ التحرير المجيدة والمرأةَ الثورية؟ كيف جسّدت الرؤيةُ الثوريةُ في الرواية جماليات التاريخ ومقوّمات الهوية القومية في تشكيل الوعي؟

أوّلاً- الأدب والثورة التحريرية المجيدة:

تُعتبر الثورة التحريرية من أشهر وأعظم الثورات العالمية في القرن العشرين التي سعتْ منذ قيامها لتحقيق النصر والحرية، كما أنّها: " تُعتبر امتدادًا للمقاومة الشعبية التي انطلقتْ مباشرةً بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، وهو ما يدلّ على الرغبة الحقيقية والمستمرّة للشعب الجزائري في إنتزاع حريّته من المحتلّ الفرنسي وتحقيق أهداف الثورة بمختلف أبعادها"[1]. حتى أنّها لاقتْ دعمًا كبيرًا على المستوى العربي والعالمي وإن اختلفتْ أنظمتها على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي آنذاك. وما ميّزها عن غيرها أنّها مثّلتْ تزاوجًا بين ثلاث اتجاهاتٍ كبرى: سياسية، عسكرية، فكرية؛ لذلك فقد: " أُعتبرت هذه الثورة أصيلةً بمعنى الكلمة لأنّ العناصر الأساسية لأصالتها تتمثّل بالضبط في كونها تَجمع بين الأبعاد الوطنية والقومية والإنسانية في تناسقٍ عجيبٍ قلّ أن يجمع لثورةٍ وطنيةٍ"[2]. فلم تكن ثورة نوفمبر مجرّد صراعٍ عسكريٍّ مع المحتلّ الفرنسي الذي نَهَب أرض الجزائر بالغصب، بل كانت أيضًا: " صراعًا حضاريًا وثقافيًا للتعبير عن الهوية الثقافية والحضارية للشعب الجزائري، ممّا جعلها تتغلغل بسرعةٍ في أوساط كلّ الجماهير الشعبية التي انصهرتْ فيها وتفاعلتْ مع كلّ معطياتها الثقافية والاجتماعية والسياسية "[3].

ونجد إلى جانب الكفاح السياسيّ حركةً ثقافيةً وفكريةً حملها الأدبُ بين دفّتيه خاصّةً الشعرَ آنذاك، فكان له دوره القيادي في نشر الوعي والدعوة للجهاد ومحاربة المستعمِر الغاشم دون هوادةٍ في سبيل استقلال الجزائر واسترجاع الحرية المنهوبة غصبًا. وكان هناك تحضيرٌ مسبقٌ وملحقٌ لهذه الثورة التي لبّتها النفوس في ثورةٍ عارمةٍ ترفض كلّ قيودٍ أو تُبعد أيّ حدودٍ تُنافي مبادئ بيان ثورة أوّل نوفمبر المجيدة: " تضمّنتْ الثورة الجزائرية في ثناياها مبادئ وأهداف سعتْ لتحقيقها بمختلف الوسائل والطرق؛ فتراوحتْ بين الآليات السياسية تمثّلتْ في مسار الحركة الوطنية والعمل الدبلوماسي على الساحة الإقليمية والدولية للتعريف بالقضية

الجزائرية، الاجتماعية من خلال الحصول على الدعم الشعبي والآليات العسكرية المتمثّلة في الكفاح المسلّح"[4]*. وكان كلّ حدثٍ من أحداثها قد جرى وِفْق مقتضيات الضرورة والشرعية لتخدم قصدًا معيّنًا نحو الاستقلال والحرية واستعادة الكرامة وتحقيق الهوية القومية... وهذا ما جعلها منظومة فكرٍ لتحقيق وعيٍ خاضع لمنطقٍ باطنٍ كامنٍ انبثق من وعي الشخصيات الثورية والمجاهدين والشهداء.

ولأنّ ثورة التحرير جاءت للتحرّر من أشكال الهيمنة والاستعباد والقهر والظلم، فقد إرتبط بها الأدباء منذ بداية إنطلاقها، فعبّروا عن طموح الشعب وتحسّسوا همومَه ومقاومتَه وصمودَه ضدّ الاستعمار الفرنسي. وكان الأدباء أوّلَ من لبّى النداء وفي طليعة المجاهدين، فقاموا بشحن النفوس بقيم الثورة والجهاد، حتّى كان التلاحم الكبير بينها في كلّ مراحلها وتقدّم إنجازاتها المصيرية وبما تركَتْه من صورةٍ مشرقةٍ في الأذهان والنفوس والإبداعات.

كان الشعر بدايةً ملازمًا لصدى وإنجازات الثورة طبعًا، ومواكبًا لمختلف التطوّرات السياسية محليًا وعالميًا من جهةٍ، ومدافعًا عن القضية الوطنية من جهةٍ أخرى. وهذا ما جعل الحركات الأدبية ذات صلةٍ وثيقةٍ بها، وكان الشاعر لسان حال المواقف والإنجازات، وممثّلاً ضميرَ الشعب وكلمته التي تعبّر عن موقفٍ بطوليٍّ موّحدٍ تحت راية الثورة، ما جعل هذه الحركات الأدبية ترتبط شكلاً ومضمونًا بمسألة الوطنية والنضال الوطني: " حتّى أنّ الحركة الأدبية قبل حرب التحرير غَيَّبتْ أدبيةَ الأدب وجماله، بمنح الصدارة للعمل الإصلاحي والنضال السياسيّ"[5]. هذا لأنّ الأدباء اهتمّوا أيّما اهتمامٍ بإيصال صوتهم ورسالتهم عن قضيةٍ وطنيةٍ تطالب بالحق والحرية والاستقلال واسترجاع كرامة الشعب، ولا ترضى دون ذلك سبيلاً مهما كان الأمر ومهما كلّف ذلك من نفوسٍ... وبذلك لعبَ الأدبُ دوره في التوعية والدفاع عن الوطن وغرس القيم الثورية النبيلة، وانفجرتْ قرائح الشعراء وجادتْ بأحسن ما فيها، وامتزجَ دويّ الرصاص بدوي الكلمات وصدَحَ عاليًا من أعماق النفوس حتّى وصلَ قممَ الجبال. وما كان للثورة أن تكون وتحقّق انتصاراتها ما لم تنغمس في النفوس وتَعْبر الجماهيرَ الشعبية لتعبّر عن تحقيق حلمٍ وخلّجات نفسٍ عايشتْ ظروفًا صعبةً في أراضيها المغصوبة، فكان إحساس الشعب مشابهًا لإحساس الشاعر وامتدادًا له كثيرًا حتى خَلَقَ الثورةَ وسار بها ومعها جنبًا إلى جنبٍ، فكان يعتريها بين الحين والآخر شوقٌ لمزيدٍ من الانتصارات والفتح القريب بدعمٍ كاملٍ ومتواصلٍ لمواصلة الزحف.

وبالرغم أنّ الرواية الجزائرية لم تعاصر الثورة كما عاصرها الشعر، إلا أنها كانت شديدةَ الارتباط بأحداثها وإن إختلفتْ موضوعاتها وإيديولوجياتها والرؤى التي يتصوّرها الروائي عن القضايا الثورية كبطولات الشعب وجرائم الاستعمار... ووجد الروائي فيها: " صورة الماضي القريب وصدمات الواقع المتحوّل، فكان يلتفتُ إلى الماضي ليستحضر حربَ التحرير يسائلها طورًا ويتلذّذ بذكراها أطوارًا ،وهو في ذلك يحنّ إلى ماضٍ مجيدٍ يستأنس به وقد يوظّفه لنقد الواقع، وقد يُقحمه فيأتي امتدادًا للخطاب السياسيّ الرسميّ الذي جعل من

التراث الوطني شعارًا لتكريس الشرعية التاريخية"[6]. واختلفتْ نظرة الروائيين للثورة وكيفية توظيفها من روائي لآخر ولكنّهم إلتفتوا إلى بطولاتها ومآثرها التي كتبها الشعب الجزائري بدماء أبنائه. لذلك كان حضور الثورة كثيفًا خاصّةً في روايات التأسيس الأولى التي ارتكزت على المضمون الواقعي والإيديولوجي أكثر من الجمالية الفنية التي لازمتْ اتجاهات الرواية الجزائرية في مسيرة تطّورها.

أمّا بعد الاستقلال، فقد اشتغلتْ رواية السبعينيات والثمانينيات على كتابة تاريخ الثورة فعليًا وتخيليًا أي نقلها من الواقع إلى المتخيّل، ما جعلها ضمن مسوح المقدّس لتؤسّس جسرًا تواصليًا. وهذا ما دفع الأدباء لجعل التاريخ مادةً لأعمالهم الأدبية والروائية خاصّةً بعد الاستقلال، فبَرَزَ نفرٌ منهم حين بدا تأثّرهم واضحًا به وتركوا آثارًا عميقةً لما عانوه خلال الثورة من فقدان الشخصية الوطنية والهوية القومية والوحدة...

ثانيًا- فاعلية الثورة التحريرية عند زهور ونيسي:

مثلما كانت الرواية الجزائرية إبان ظهورها متأثّرةً بتيارات الرواية الغربية والعربية، كانت كذلك كثيرٌ من الروايات متأثّرةً بثورة التحرير الكبرى عبرَ مسيرة تطوّر الرواية الجزائرية عمومًا، وهو ما يكشف جانبًا جماليًا فيها. وقد ظهر جيلٌ من الروائيين سعوا لتأصيل الرواية الجزائرية التي امتزجتْ موضوعاتها بالثورة التحريرية بعدما كانوا قد ترعرعوا بين أحضانها وعايشوا وعاشوا وقائعها، فكانت روايات كثيرة منها: **ريح الجنوب** لعبد الحميد بن هدوقة، **اللاز، الزلزال** للطاهر وطار، **ما لا تذروه الرياح** لمحمّد عرعار، **طيور في الظهيرة، البزاة** لمرزاق بقطاش، **على جبال الظهرة** لمحمد ساري، **هموم الزمن الفلّاقي** لمحمّد مفلاح، **حورية** لمحمد مليس، **نار ونور** لعبد المالك مرتاض، **لونجة والغول، جسر للبوح وآخر للحنين** لزهور ونيسي، **ذاكرة الجسد** لأحلام مستغانمي..... وكان للقيم الثورية جماليتها التي عكستْ التحوّلات التي كان وأصبح يعيشها الجزائريون وما نتج عن كلّ ذلك.

وعلى غرار الروائيين الجزائريين الذين كتبوا عن الثورة، كان لبعض النساء نصيبٌ؛ وتعتبر **زهور ونيسي** من أهم الأصوات النسائية في الأدب الجزائري وتحتل مكانةً أدبيةً راقيةً بين أوساط النقّاد والأدباء والمفكّرين الجزائريين كما العرب، نظرًا لإسهاماتها الكبرى في مجال الأدب والصحافة والتعليم والثقافة والسياسة... ولا يغفل عنّا ما قامت به من إنجازات وإبداعات أيام الاستعمار الفرنسي وبعده، فهي أشهر من نارٍ على علم بما أسهمته كثيرًا في النضال الوطني ابتداءً من سنة 1956م، فقد: " عَمِلَتْ في التعليم قبل الاستقلال وبعده، إلى جانب نشاطها النضالي أثناء الثورة التحريرية وبعد الاستقلال"[7].كما تلقّتْ عدّة مناصب أهّلتها لأن تكون في المنصب القيادي المناسب نتيجةَ خبرتها ونضالها وقدرتها وكفاءتها العقلية والمهنية فاقتْ بها مثيلاتها ومعاصريها؛ فكانت مجاهدةً نالتْ وسام الاستحقاق الوطني، وكانت وزيرة التربية 1989 وعضوةً في البرلمان ومساهِمةً في تأسيس الاتّحاد الوطني للنساء الجزائريات.

وقد تحدّثتْ روايات **زهور ونيسي** ككثيرٍ من مقالاتها وكتاباتها القصصية عن وقائع من الثورة التحريرية وتضحيات الجزائريين ضدّ الاستعمار الفرنسي وما عاشوه وعانوه في نضالهم، وآمنتْ منذ بدايتها بمبادئ الثورة

السياسية التي سعى الشعب لتحقيقها، خاصّةً بعد المنجزات التي حقّقتها، والتحلّي بالحسّ الثوري والوعي بأهمية القضية الجزائرية؛ فصوّرتْ كثيرًا من الجوانب الثورية المثيرة التي تتعلّق بدعم الشعب لها والتفافه حولها بعد إستجابتهم لندائها، وسعتْ لكشف الوقائع والأحداث، كما إستعادتْ ذاكرةً قويةً عن تاريخ الجزائر المجيد ومعاناة شعبها التي عايشتها الأديبة أيضًا، فأعادتْ إنتاجَ تاريخٍ مليءٍ بالوقائع والأحداث ولم تقتصر في حديثها عن الثوار والمجاهدين، بل مزجته بالحديث أيضًا عن المرأة الثورية القويّة: "كانت أوّل قاصّةٍ جزائريةٍ تؤلّف عملاً سرديًا إبداعيًا حول الثورة التحريرية هي زهور ونيسي، التي ألّفتْ مجموعتها القصصية الموسومة بالرصيف النائم التي تضمّ بين صفحاتها قصصًا من الواقع الثوري الجزائري بعد الاستقلال مباشرةً، واستمرّتْ الكاتبة على نفس النهج في مجموعتها القصصية الثانية على الشاطئ الآخر معتمدةً على مرجعيةٍ واحدةٍ لأحداث السرد هي الثورة التحريرية الجزائرية، وواصلتْ على نفس النسق في روايتها يوميات مدرّسة حرّة، فلم تخرج عن حيز الثورة التحريرية"[8].

من هنا يمكن القول، إنّ كتابات **زهور ونيسي** تحمل رسالةً عن قضية وطنيةٍ وإنسانيةٍ تكمن في حقّ الشعب في الدفاع عن سيادة أراضيه واسترجاعه الحرية والكرامة كحقٍ من الحقوق العالمية: " الكاتبة في خضمّ إلحاحها الجميل العذب على القيم الإنسانية الرفيعة (حبًا ووفاءً وصدقًا) كانت تسهو في أكثر من منعرجٍ عن قيم الخير والفضيلة التي تريد التمكين لها"[9]. وهنا نلمس حسًّا ثوريًا متقدًا عند الأديبة باعتبارها مناضلةً ثوريةً تعكس مدى وعيها بأهمية قضية الجزائريين المصيرية وتوجيهها نحو الصواب والممكن والواجب. وهذا يعكس أيضًا مدى اهتمامها بقضايا وطنها، لأنّ ذلك منغرسٌ في روحها وكيانها ويحرّك فيها حسًّا ثوريًا يسعى للتغيير ونفض الغبار ورفض الواقع الاستعماري والالتزام بمبدأ حرية الرأي والفكر والتعبير: " فيبدو للمتأمّل نزوعٌ ما رومانسي نحو قيمٍ جماليةٍ ذات ظلالٍ مختلفةٍ، تلوذ بعالمٍ جميلٍ، عذبٍ غامضٍ، مشعٍ بأكثر من لونٍ وشكلٍ"[10].

وفي مقالنا هذا، سنسعى لبيان ذلك من خلال دراسة واحدةٍ من روايات **زهور ونيسي** التي تحدّثتْ فيها عن الثورة التحريرية المجيدة وهي رواية **لونجة والغول**، وسنحاول بيان كيف تمثّلتها الرواية بشكلٍ خاصٍ، يكشف تظافر السرد الذي يتخلّله شعورٌ بالمتعة والشاعرية والافتخار بالأمجاد.

ثالثًا- تجليات الثورة التحريرية في رواية لونجة والغول:

بدءًا سنسعى لدراسة الرواية انطلاقًا من العنوان لتبيّن ما جاد به، والغوص في مكنوناته لاستكناه خباياه ودلالاته الرمزية عن الثورة التحررية المجيدة في أحداثها ومضامينها وشخصياتها الثورية: " فالعنوان هو المفتاح الضروريّ لسبر أغوار النصّ والتعمّق في شعابه النائية والسفر في دهاليزه الممتدّة، كما أنّه الأداة التي بها يتحقّق اتّساق النص وانسجامه، وبه تبرز مقروئية النصّ وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة"[11]. كما أنّ له قواعد يقوم عليها توازي النص لحدٍّ كبيرٍ وبعيدٍ، تقتضي من القارئ الوقوفَ عنده مطوّلاً وربطه بسياق النص بعد قراءته.

1- قراءة في العنوان:

يعتبر العنوان رسالةً مشفّرةً بين الكاتب والنصّ من جهةٍ، وبين القارئ والنصّ من جهةٍ أخرى، تحيل إلى تفكيك النصّ وكشف خباياه لإعادة إنتاجه ومعرفة أنظمته الدلالية والسيميائية، لذلك كان أوّلَ المراحل التي يقف عندها الباحث لتأمّلها واستنطاقها لاكتشاف بنياتها وتراكيبها: " العنوان رسالةٌ لغويةٌ تتّصل لحظة ميلادها بحبلٍ سُريّ يربطها بالنص لحظةَ الكتابة والقراءة معًا، فتَكُون للنصّ بمثابة الرأس من الجسد نظرًا لما يتمتّع به العنوان من خصائص تعبيريةٍ وجماليةٍ تتحكّم في دلائلية النص في التأويل الأدبي مثل بساطة العبارة وكثافة الدلالة"[12]. فالعنوان عملٌ مختزلٌ يشكّل أعلى وأدّق اقتصادٍ لغويٍّ مُعبّرٍ وممكنٍ عن النص في قوّته ودلالته حتّى يأسر القارئ ويُغريه لقراءة النص، ونصّيته أيضًا مختزلةٌ للعمل وموّحدةٌ لدلالة العنوان، فيجعلنا نتغلغل في بنية النص الروائي باعتباره مبعث الكثير من الأفكار ومصدر الإثارة والتشويق من اللحظة الأولى التي نبدأ فيها ممارسة القراءة لمعرفة أسرار النص.

يأخذ العنوان هنا **لونجة والغول** في علاقته بالرواية بعدًا أسطوريًا يرتكز بدايةً على ما يتركه النّص فينا من أثرٍ، وآخر رمزيًا يرتبط بمقصديته التي تتجلّى في مواضع على لسان الشخصيات فيها، وهو ما يعمّق ويكثّف دلالات النص التي يجدها القارئ عندما يربط العنوانَ بالرواية وما فيها من حوارات تثير أسئلةً وإجاباتٍ تخرج مكوّنات أسطورية وخرافية متعلّقة بالغول والمستعمِر؛ فرواية **لونجة والغول** هي ثاني رواية صدرتْ للأديبة سنة 1994 بعد روايتها الأولى **يوميات مدرّسة حرّة**، وهي: " مشروعٌ نبيلٌ للكتابة عن الوطن والثورة والمقاومة والحق والأمنيات العظيمة، مشروع تكتبه زهور ونيسي بصدقٍ حقيقيٍّ لا مراء فيه ويؤكّد تاريخها النضالي الطويل وتجربتها الكفاحية في صفوف الثوار الجزائريين "[13].

وبذلك، يوحي العنوان بالكثير من الدلالات الرمزية والأسطورية التي تشعّ غنى له علاقة بالمضمون والأحداث، ليحكي أسطورةَ **لونجة والغول** (الحكاية الخرافية) الشهيرة عن الفتاة الجميلة **لونجة** التي تزوّج الغول أمّها غصبًا عنها، وأنجبتْ له **لونجة** وكانت جميلةً مثل أمّها، وأسكنها في قصرٍ عظيمٍ له به أبراجٌ عاليةٌ حتى لا يصل إليها أحد: " ولأنّه تزوّجها دون رضاها فقد وضعتْ له ابنةً جميلةً مثلها ولا تُشبهه في شيءٍ، هذه الفتاة هي أنتِ يا مليكة، عفوًا بل هي لونجة. مليكة أو لونجة، كلاهما واحدٌ يا مليكة، تتكرّران في الزمان والمكان وتولدان كلّ يومٍ من رحم العذاب والجمال لتدخلا كلّ مرةٍ عالم الخلود، ويبقى للعاشق نوارة يسقيها كلّ لحظةٍ، يسقيها بماء الحبّ وعطر الحياة، نوارة لا تذبل أبدًا ولا قدرة لأحدٍ على قطفها من جديدٍ، إنّها هذه المرّة سُقيتْ بشلالاتٍ مرجانيةٍ تجمّعتْ من كبد الزمن العصيّ"[14].

تستدعي كلمة **الغول** في الرواية إيحاءات رمزية أخرى، لتكون كنايةً عن الزمن الصعب أيام الاستعمار الفرنسي الذي استدعى زواج **مليكة** وقت الثورة المسلّحة وهي ابنة السابعة عشر ربيعًا: " ها هي مليكة تتزوّج بأسلوبٍ بسيطٍ جدًّا جدًّا، فهل هذه هو الزواج؟ نعم في هذا الزمن الغول، هذا هو الزواج، والواجبات والحقوق معروفةٌ عند الجميع"[15]. وقد وردتْ **لونجة** مقرونةً باسم **الغول**، حين يقف **كمال** عند قبر زوجته **مليكة** مناجيًا: " مليكة أنتِ ملكةٌ في مكانٍ ما من الزمن... أنتِ لونجة بنت الغول، أتدرينَ من هي

لونجة بنت الغول؟ تلك التي تحكي عنها جدّاتنا، تلك الفتاة الجميلة التي لا يمكن أن يصل إليها أحدٌ، لأنّها تسكن قصرًا عظيمًا عاليةٌ أبراجه تناطح السحاب، هو قصر الغول"[16].

ومن هنا، يمكن القول إنّ العنوان يقوم على قصديةٍ خفيّةٍ غير مباشرةٍ، لأنّه يحيل مباشرة إلى الحكاية الشعبية الخرافية عن **لونجة والغول**، لكن قراءتنا للرواية ستجعلنا ندرك هذه القصدية الخفية لأنّها تمثّل في الحقيقة ثنائية المستعمَر (**لونجة**= الخير- الوطن- الثورة– التضحية...) والمستعمِر (**الغول**= الشرّ- الاستعمار- الظلم والقهر...) وهو ما تشير إليه الرواية من خلال التفنّن في استخدام الأساليب الروائية وفي رسم صور الشخصيات والأحداث الثورية. كما تمثّل **مليكة** شخصية **لونجة** في الرواية كرمزٍ للثورة التحريرية نظرًا لعديد الصفات المشابهة بينهما، في الكفاح ضدّ الظلم والقهر والحرمان الذي عانتْ منه الجزائر إبان فترة الاستعمار الفرنسي: " هذه المشروعية الرمزية تجد سندها في النص الذي تضمّنته الصفحة الأخيرة وحدها من الرواية مدعومةً بحيثيات محدودةٍ جدًّا تكاد لا تبين، فمثلما إنتهتْ الثورة بإعلان الاستقلال فقد ماتتْ قيمها في كثيرٍ من النفوس، ومع ذلك يبقى الاستقلال مولودًا معزّزًا مكرّمًا جديرًا بكلّ رعايةٍ، لأنّه ابن ثورةٍ فجّرها شعبٌ في وطنٌ فأجْلى الغاصبَ المستبدَّ "[17].

ويرمز الغول إلى المستعمِر الفرنسي الغاشم والمغتصِب، وترمز **مليكة** إلى **لونجة** وإلى الثورة باعتبارها وليدة الظلم والمعاناة، وترمز **نوارة** إلى الحرية والاستقلال.

إنّ العنوان بذلك علامةٌ لغويةٌ دالّةٌ على النص من قريبٍ أو من بعيدٍ، وخطابٌ قائمٌ بذاته ينفتح على النص ليمثّل سلطة النص وواجهته الإعلامية: " العنوان إذن مرجعٌ يتضمّن بداخله العلامةَ والرمزَ وتكثيفَ المعنى، بحيث يحاول المؤلّف أن يثبت فيه قصده برمّته كليًّا أو جزئيًّا، إنّه النواة المتحرّكة التي خاط المؤلّف عليها نسيج النص"[18]. لأنّه يأتي تساؤلاً يجيب عنه النص إجابةً مؤقّتة للمتلقّي.

2 – صورة الثورة التحريرية:

كثيرًا ما يُضرب المثل بالثورة التحريرية المجيدة التي راح ضحيتها ملايين الشهداء، وقد تغنّتْ الرواية ككثيرٍ من الروايات بالثورة التحريرية وبانتصاراتها وبشعبها الذي أَلْحَقَ بالمستعمر أشدّ الهزائم حين كانت فرنسا تعتبر آنذاك أعتى وأقوى قوّة في العالم ككلّ؛ فتشيد بما حقّقته الثورة منذ بداياتها من انتصاراتٍ عديدةٍ لما كان لها صدًى كبيرٍ وانتشارٍ واسعٍ بين النفوس، إذ امتدّ صداها حتّى الصحف والمجلات والراديو، كما تشير إلى الأخبار التي نُشرتْ كثيرًا عن الجهاد والثورة على الفرنسيين التي عمّتْ مناطق عديدة من البلاد بعدما كانت مقتصرةً على جانبٍ أو منطقةٍ فقط: " فأحداث الرواية تنطلق من الإشارة إلى 1830 بانتهاء العهد العثماني وسقوط البلد تحت الاحتلال الفرنسي، فتدور بين حي القصبة والميناء في مدينة الجزائر، ثمّ تتركّز في سبع سنواتٍ ونصف هو عمر الثورة الجزائرية (1954-1962)، فمجالها يستمدّ تلك إرهاصات أولى، وإعلانًا في أول نوفمبر وتتويجًا بالاستقلال"[19]*.

وتوالتْ أخبار انتصارات المجاهدين على ألسنة الناس والراديوهات في الرواية، حتى أصبح تشويقٌ وتنافسٌ لمعرفة المزيد من الأخبار عن الثورة والثوار كلّ يوم... وهذا الوعي جعل أصوات الجزائريين تتهافت بقوّةٍ واعتبارٍ واقتناعٍ كبيرٍ عمّا أُخذ بالقوة لا يُسترجع إلا بالقوّة، وهذا دَفَعَ نحو عجلة الجهاد لتحقيق الاستقلال بتأمّلٍ إيجابي عن هدفٍ واحدٍ موحّدٍ بين الكبار والصغار، بين الرجال والنساء، لأنّ: " الثورة لا تحتاج كلّ المواطنين لمغادرة مُدُنهم والصعود للجبال، بل الثورة هي التي يجب أن تكون في كلّ مكان في المدينة، في القرية، في الأحياء وفي البيوت "[20].

وتزداد معاناة الجزائريين حين: " تصير الثورة حقيقةً سياسيةً يعانقها الجميع بحبٍّ وعطاءٍ، حبًّا في الوطن وحقدًا على الاحتلال الفرنسي"[21]. وهنا تتجلّى صور التضامن والإخاء لاستقلال الجزائر بين النساء والشباب المفعم بالوطنية والوعي، إذ سخّروا كلّ ما لديهم عدّةً وعتادًا للتضحية والجهاد: " خرج الناس جميعًا، وفي كلّ شبرٍ من البلاد، في كلّ قريةٍ، في كلّ مدينةٍ، في كلّ سهلٍ وجبلٍ، الكبار والصغار، الشيوخ والشباب، النساء والبنات، خرجوا يرفعون الأعلام والرايات والعصيّ والفؤوس، ينادون بحرية البلاد، كلّهم، كلّهم، الملايين في مظاهراتٍ شعبيةٍ عارمةٍ وكأنّهم رجلٌ واحدٌ وصوتٌ واحدٌ وهزّةٌ واحدةٌ، هزّةٌ زلزاليةٌ كانت، زَلزلت كلّ ما بقي من شكٍّ في ثورة شعبٍ"[22].

إنّ الصورة التي قدّمتها الرواية عن العمل النضالي الذي تزامن مع بداية الثورة التحريرية التي إستبشرها كثيرٌ من عمّال الميناء أمثال **محمّد** والد **مليكة**، يعكس مدى التضامن الكلّي بين الشعب لتحقيق وحدة الوطن واستقلاله، منذ أن كان حلمًا ساطعًا حتى تجسّد: " بدا جليًا في ذلك إلحاح الكاتبة القوي على قيم النضال والتضحية والثورة وحب الوطن والتركيز على ما أصاب الإنسان الجزائري من ضيمٍ ألْحَقَه به الاستعمار الفرنسي، فصادر منه حريته وأرضه وأمعن في استغلاله وإهانته، ممّا جعل الثورة حلمًا مشروعًا لم يتأخّر في إعلان نفسه، كما جعل الاستقلال هدفًا لم تطلْ المسافة إليه كثيرًا، لكن دونه كانتْ التضحيات جسيمةً والدموع غزيرةً "[23].

وقد حرصتْ الرواية على تجسيد مبادئ الثورة ووحدة الشعب الذي إلتحف حولها رجالاً ونساءً. وهنا ترتسم لنا صورةٌ عظيمةٌ عن التلاحم الجمعي الذي استدعى تكاثف الجهود والتآزر العميق لمواجهة العدو مع قادة الثورة الكبار الذين تيقّنوا أنّ: " استمرار الكفاح الوطني ونجاحه مرهونٌ بتجنيد كلّ الجزائريين كافةً وتسخيرهم لخدمته في ظلّ تواضع العدّة والعتاد إذ ما قورنتْ بإمكانيات العدو وترسانته العسكرية والإعلامية"[24]. لذلك كان لابدّ من وضع خططٍ إستراتيجيةٍ لضمان اتّصال الثورة بالجماهير الشعبية وإقناعهم بمشروعية الكفاح حتّى يتسنّى لها احتضانها عن قناعةٍ.

3- صورة الثـوّار:

حاولتْ رواية **لونجة والغول** تبيين صور نضال الثوار الجزائريين ووعيهم بدورهم في محاربة الاستعمار الغاشم، فعبّرتْ عن وقائع الثورة ونضال الشعب وتضحياته، وصوّرت معاناة الشعب التي تتحوّل إلى إرادةٍ

حرّةٍ للعمل والكفاح السياسي، حين يلْتَفُّ الجميع حولها يميّزها حب الوطن والإخاء والجهاد حتى تُزهق آلاف الأرواح في سبيل الوطن الذي جَمع لأداء هذه المهمّة كلاً من **أحمد** زوج **مليكة** ثمّ أبوها **محمّد** الذي كان يعمل في الميناء واستشهد فيه بعد تفجيره في أحد أيام 1962 قبل أن يشهد عيد الاستقلال، بعدما صوّرتْه الرواية مرارًا كيف كان يعود كلّ يومٍ من العمل مثقلاً بالتعب والهم وأزمات الفقر الذي لازمه، إلا أنّه كان راضيًا حامدًا كلّ حالٍ: " إنّه رجلٌ مسالمٌ، لا يرجو غير الطمأنينة، تستعبده العادة حتى مع الفقر وضيق اليد، هكذا خلقه الله لا مطمح سوى قوته وقوت عياله، لا شيء آخر يَشْغَله "[25]. ولكنّه حمل من النفس الثورية الكثيرَ من قيم الاعتزاز والافتخار بأمجاد الآباء والأجداد، فقد جاء على لسانه حين تذكّر والده مرةً: " أنّه رجلٌ ليس كالرجال، قضى معظم عمره في السجن، فقط لأنّه كان يقول شعرًا ضدّ الاستعمار... كان في شعره هذا يحكي تاريخ الأجداد وبطولاتهم الكثيرة"[26].

وتقدّم الرواية صورةَ الفلاح البسيط الذي يكافح من أجل استرجاع أراضيه المغصوبة منه لينتهي به الأمر في الجبل مع الثوار. وتقدّم صورة **الشيخ عبد الرزاق** الذي فقَدَ ابنه ثمّ زوجته شهيديْنِ بعدما كانا يملآن حياته، لتتحوّل حياته إلى حزنٍ وألمٍ يعتصر دمه ويتركه وحيدًا عودًا جافًا.كما تحكي عن **رشيد** البطل الشاب الذي تحدّى استصغار أبيه له، وقرّر الانضمام لصفوف المجاهدين والثوار: " إنّ الثورةَ تحتاج الشباب ليجاهدوا ويدخلوا المعارك، لا ليحرصوا على الخبز والماء، ويتحسّروا على الزمان. إنّ المعركة اليوم ليست مع الخبز ولقمة العيش إنّها مع المستعمر، إنّه السبب في مآسينا وآلامنا وهو مصدرها، ولا بدّ أن نقضي على المصدر"[27].

كما تحكي الرواية عن **أحمد** زوج البطلة **مليكة** الذي إلتحق سرًّا بالمجاهدين تاركًا عائلته دون علمٍ لمصيرٍ مجهولٍ لا يعلمه إلا الله تعالى، وإن كان إحساسه بعدم العودة إليها يقينًا مؤسفًا لزوجته أكثر منه: " أيقول لها أنّها ربما وبين لحظةٍ وأخرى تصبح أرملةً... أيقول لها أنّ أهون الشرور أنّه سيودّعها في يومٍ من الأيام ليلتحق بأخيها والآخرين من المجاهدين، هناك في الأعالي حيث تلتحم الهامات بالسحب وحيث تسكن الملائكة"[28]. فلا يجب أن تنتظر **مليكة** عودته حتى تنتهي الحرب أو تستقلّ الجزائر، لكن شاءت الأقدار أن يستشهد ويتركها وحيدةً هي الأم والأب معًا لابنٍ في أحشائها، فأصبحتْ أرملةً قبل أن تكون أمًّا، ونزل عليها الخبر كالصاعقة: " إنّ الرجال متأكّدون من ذلك، إنّ هؤلاء الناس لا يعيدون الكلمة مرتين، وقد قالوا إنّ ذلك حَصَلَ مباشرةً بعد مغادرته البيت بشهرٍ واحدٍ في أوّل معركةٍ شارك فيها"[29].

4- صورة المرأة الثورية:

معروفٌ جدًّا مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية وإن بصورٍ مختلفةٍ في المدن والقرى والجبال، ولم تكن بمنأى عمّا يحدث في الجزائر من أحداثٍ ثوريةٍ سواء مع الثوار أو ضدّ المستعمر، بل كانت طرفًا فاعلاً بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ كما يشهد بذلك التاريخ الوطني والذاكرة الشعبية. وقد كانت في ارتباطٍ وثيقٍ مع أرضها وقضيتها وإخوانها المجاهدين، تُناصرهم من جهةٍ وتقدّم لهم المساعدة من جهةٍ أخرى، وعايشتْ مختلف

الانشغالات بإحساسٍ عميقٍ وصادقٍ يعبّر عن وعي والتزامٍ يعكس قـوّة النضال الثوري ضدّ الاستعمار وشتّى ممارسات الظلم والاضطهاد والتعذيب على الشعب الجزائري عمومًا؛ فكانت تُمرّض وتطبخ وتخيط وتشارك في التفكير والتدبير والتحريض والدعم المادي والمعنوي ونقل الأخبار والمشاركة في المظاهرات والثورات والعمليات الفدائية وحمل السلاح في سبيل تحرير الجزائر: " فما أكثر المجاهدات في الجبال والمكالحات في المدن. نعم إنّهنّ كثيراتٌ جدًا، لا يتعرّف عليهنّ أحدٌ "[30].

وبذلك حقّقتْ المرأةُ أثناءَ الثورة التحريرية قفزةً نوعيةً في إثبات الذات: " لقد برهنتْ الحرب حقًّا على أنّها كانت الفترةَ الذهبيةَ في تاريخ المرأة الجزائرية، إذ في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغيّـراتٌ مفاجئةٌ شاملةٌ وبعيدة المدى في وضعية المرأة "[31]. وذلك بعدما أدركتْ ضرورة مشاركتها وأهمية وظيفتها في عملية النضال والعمل البنّاء بتحمّل مسؤوليةٍ تشارك فيها الرجلَ نحو استقلال الجزائر، وتجاوز أيّ عقبةٍ تُعيق أداء مهمّتها مهما كلّفها الأمر: " إنّ المرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية كانت أكثر تحرّرًا منها بعد الاستقلال، فالثورة لم تكن ضدّ المستعمر فحسب، بل كانت أيضًا ضدّ الأفكار البالية التي تميّـز بين الذكر والأنثى في الإنسانية"[32]. فقد برهنتْ الحرب حقًّا على أنّها كانت عصرًا ذهبيًا لتاريخ المرأة الجزائرية حين أثبتتْ ذاتها وقدرتها في مواجهة العدو المستعمر، لكن سرعان ما خاب الظنّ بعد الاستقلال وعادتْ لحياتها وطبيعة نضالها في البيت والتربية والصورة الأصلية لوجودها ووظيفتها.

هذا وكانت الأديبة **زهور ونيسي** أيضًا تعي ذلك جيّدًا باعتبارها ممن شاركْنَ في الثورة التحريرية، فسعتْ في جميع كتاباتها الإبداعية والنقدية ككثيرٍ من الرعيل الأوّل للروائيين الجزائريين لبيان ذلك، وتأسيس وعيٍ مركزيّ للمرأة حتّى بعد الاستقلال قصد مواصلة المسيرة، وذلك: " بفعل معايشتها عن كثبٍ للمرأة الجزائرية"[33]. والمتتبّع لكتابات **زهور ونيسي** سيلاحظ حضور المرأة بشكلٍ لافتٍ للانتباه سواء في كتاباتها ذات البعد النضالي الثوريّ أو البعد الاجتماعيّ ودورها في المجتمع حتى بعد الاستقلال: " فكان لزامًا عليها أن تسعى إلى تعليمها وإخراجها من الجهل، وتدعو إلى الحملات التطوّعية لتعليم النساء في الريف وانطلاقها مع النصف الآخر من المجتمع "[34].

وذلك راجعٌ لوعي الروائية بقضية المرأة لذلك ناضلتْ في سبيل ذلك وآمنتْ بدورها في مشاركة الرجل مسؤولية الحياة في جميع جوانبها. وترى أنّ قضية المرأة لا يجب أن تطرح منفصلةً عن مشكل أو قضية الرجل، أو بعيدًا عن فعالية مشتركة، فتقول: " نريد إنسانًا يؤمن بتجنيد الرجل والمرأة على السواء، لتحمّل المسؤولية الملقاة على عاتقها كمواطنين صالحين، لأنّ الرجل وحده لا يمثّل إلّا نصف طاقة الشعب، وسوف لن يصل بدون جناحه الثاني إلى تحقيق كلّ أهداف الوطن"[35].

وقد أشركتْ الروايةُ المرأةَ في الحديث عن نضالها وبطولاتها الثورية ومختلف مشاركاتها فيما قامتْ به من أعمالٍ رائدةٍ ضدّ الاستعمار، فقدّمتْ لنا صورًا عن المرأة الثورية التي ناضلتْ بمشاركاتٍ فعليةٍ ومعنويةٍ، بم يمثّل لنا من إيصال المعلومات ونقل الأخبار بين المجاهدين وأهاليهم وإن كان في ذلك خطر يتهدّدهنّ باستمرارٍ،

مثلما حدث مع **مليكة** التي نجتْ بأعجوبةٍ من تعذيب أيدي الشرطة الفرنسية: " انخرطتُ في تنظيم الثورة وشاركتُ في إحدى العمليات الفدائية بالمدينة، وعندما قُبض على زميلي في العملية عُذّبَ كثيرًا لكنّه لم يَذكر اِسمي، عرفتُ ذلك فيما بعد، لكنني طبعًا أصبحتُ متابعةً من طرف الشرطة، فأمرتُ بِالتحاق بالجبل "[36].

وهنا تحكي الرواية عن الظروف القاسية التي يتعرّض لها المجاهدون وما يقدّمونه من تضحياتٍ في سبيل الوطن، مثلما تصوّر معاناة المرأة المناضلة إن بالتعذيب الجسدي أحيانًا وإن بالعذاب المعنوي أحيانًا أخرى نتيجة استشهاد عددٍ كبيرٍ من المجاهدين المقرّبين لها؛ فتَذْكُر العجوزَ الملتحفةَ بالحايك وتقدّمها مجاهدةً فذّةً في صفوف الثوار ولم يمنعها مانعٌ من ذلك لا عمرها ولا ترّملها ولا حتّى خوفها من الظروف، فهي أرملة شهيدٍ نُفّذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة، ما جعلها تلتحق بصفوف الثوار ثأرًا لزوجها وأبيها وعمّها وجدّها لأمّها قبلاً، وما جعلها تُقدم على العديد من العمليات الفدائية ضدّ العدو قبل اِلتحاقها بالجبل: " إذا كان الهدف من عملي هذا هو الثأر كما تقولين، فإنّه يبدأ من زمنٍ بعيدٍ جدًّا، فقد استشهد والدي وعمّي في أحداث سنة 1945 م بخراطة، واستشهد قبل ذلك بكثيرٍ جدّي لأمّي في ثورة الزعاطشة بالجنوب، لكني لا أعتقد أنّه ثأرٌ وحقدٌ بقدر ما هو كفاحٌ من أجل الحقّ، حقّنا في وطننا وحريتنا"[37]. وهذا يثبت جدارةَ المرأة الثورية في فاعليتها الحقيقية التي لم تستسلم فيها أبدًا رغم صعوبة الظروف، فخلّفتْ وراءها فترةً زاهرةً بقيتْ راسخةً في الأذهان عن نموذج المرأة المثالية والإيجابية والفاعلة كيف يجب أن تكون.

وتطالعنا الرواية عن شخصية **خالتي البهجة** التي تعمل هي الأخرى في صفوف الثورة التحريرية، إذ كانت: " تأتي بالأخبار من هنا وهناك، مستعدّةٌ أن تساعد جميع الناس إضافةً إلى ذلك أصبحتْ تعمل لصالح الثورة، فقد كانت في بعض الأحيان تثير قلق النساء في الحمّام وداخل البيوت، بأخبارٍ تضيف إلى المنكوبين يأسًا فوق يأسٍ، بتضخيم الأخبار والمبالغة في ذكر عدد الضحايا والجرحى في الأحياء والمدن الأخرى، كما كانت تذهب إلى بيت مليكة وتوافِيهم بأخبار المجاهدين"[38].

وتقدّم الرواية صورًا ثوريةً أخرى تعكس صدق نفسية ومشاعر **خالتي البهجة** بعدما أثّرت فيها الظروف الاجتماعية نتيجةَ طلاقها بسبب عدم الإنجاب، لكنّها لم تـؤثّر على حنينها الثوري تجاه ما كانت تقوم به من تمويهٍ ودعايةٍ عن نشر الأخبار بطريقةٍ مناسبةٍ متى دعتْ الحاجة: " كما أنّ البهجة لم تكن مجرّد وسيلة دعائية بلهاء، بل تحوّلت إلى مناضلة حقيقية بدليل أنّها كانت تعرف كثيرًا من الأمور، غير أنّها تدّعي عدم المعرفة"[39]. ونظرًا لخبرتها وتمكّنها تحصل على معلومات تفيد بها **مليكة** عن أخبار زوجها الذي توفي وهي في شهرها التاسع قبيل ميعاد المخاض: " المجاهدون متأكّدون... إنّ هؤلاء الناس لا يعيدون الكلمة مرتين "[40].

وتمتزج الأجواء الثورية بالأحداث الروائية لتقدّم أيضًا صورةً مشرقةً وإن اِمتزجتْ بأحداثٍ مأساويةٍ، لكنّها خلّفتْ همّةً كبيرةً عند **مليكة** بترمّلها نحو التغيير المطلوب حتّى وفاتها مخلّفةً ابنةً وراءها. كما خلّفتْ روحًا وطنيةً عزيزةً يملؤها الشموخ والاعتزاز والمحافظة على الشرف عند **فاطمة** التي تركها زوجها أيضًا وصعد إلى الجبل مع الثوار والفدائيين.

كثيرًا ما تحكي الرواية منذ البداية عن البطلة **مليكة** الجميلة في ملامحها وصفاتها، ولأنها كانت تعاني الكثير كبقية الجزائريين لمواجهة الفقر مع أسرتها وصعوبة الحياة منذ نعومة أظافرها في ظلّ الاستعمار: " لقد كانتْ جوارحها تحمل من الألم الكثير، ومن كتمان هذا الألم أكثر، وكأنّها الوحيدة التي كانت تعيشها هي وأخواتها وأبواها وحتى جيرانهم"[41]. وحتّى في شعور العائلة بالفقر كانت تفضّل دائمًا لـمّ شـملهم: "كلّ مساءٍ كان يلتئم المجلس حول عشاء اقتضتْ طبيعة الحياة أن نُطلق عليه كلمة مجلس وعشاء، حتّى لو كان في أكثر الأحيان مجرّد تجمّعٍ حول طبقٍ من العدس"[42].

وفي أسوأ وأقسى الظروف المأساوية التي رفَضَتْها، كانت تضيق بواقعٍ راكدٍ وتتوق للحبّ خاصّةً بعد وفاة زوجها **أحمد** وتزويجها من جديدٍ بأخ زوجها **كمال**. ومع ذلك فقد قدّم لها كل ما تحتاجه من حبٍ وأمانٍ حتى لابن أخيه: " وكذلك ابنٌ بارٌ ومطيعٌ، يحبّ ابن أخيه الشهيد كأنّه ابنه"[43]. إلّا أنّها امتازتْ بالصبر والقناعة وبالأخص كوالدتها **الزهرة** التي لا تتذمّر على الإطلاق، فكانت حنونةً ومطيعةً لزوجها **سي محمّد** الذي عُرف بتقلّب الأحوال وعدم الشعور بالرضا إلّا في بعض الحالات.

ومثل هذه النماذج تعكس صورًا بطولية بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ، حاولت الرواية أن تبرز سماتها وارتباطها العميق بالجانب الثوري ليكتمل العمل بتحقيق الذات الثورية وبيان الدور الفعّال والحاسم للمرأة إلى جانب الرجل: " غير أنّ زهور ونيسي شأنها في ذلك شأن الكتّاب الآخرين تَعتبر قيام المرأة بالثورة تضحيةً بالنفس أو تعويضًا عن نقص لدى المرأة (ترمّل- تطليق) "[44].

ومع ذلك تبقى المرأة الثورية نموذجًا حيًا ومثالاً صادقًا في مرحلة العمل الثوري من أجل التحرير والاستقلال، كما تبقى الثورة تعكس تقديسًا والتزامًا قويًا نحو حب الوطن والتفاني من أجله، لارتباطها بالقضايا الاجتماعية للشعب الجزائري. وهنا تحيلنا الرواية إلى واقعٍ هامٍ عن حال المرأة الجزائرية بعد انتهاء الثورة واستقلال الجزائر، فنجحتْ في تصويرها فنيًا كرمزٍ مؤثرٍ فاعلٍ. واحتفت بالمقابل كثيرًا بالمرأة الثورية التي قدمتها في أكثر من نموذجٍ؛ فالمرأة التي حملتْ السلاح وخرجتْ تقاتل به جنبًا إلى جنب مع الرجل تَراجَع موقفها بشدّةٍ بعد الاستقلال، إذ عاد المجتمع إلى صورته الأولى التي ترى المرأة بنظرة قصورٍ ودونيةٍ.

الخاتمة:

كانت الثورة التحريرية المجيدة حدثًا تاريخيًا عظيمًا مثلما كانت حدثًا روائيًا استقى منها عديد الشعراء والأدباء مادتهم، وحاولوا تصوير مواقفها وبطولاتها وانتصاراتها كلٌّ بمنظارٍ خاصٍ، مثلما يتجلّى من خلال صورة الثورة التحريرية في رواية **لونجة والغول** لزهور ونيسي، وقد خرجنا بمجموعةٍ من النقاط أهمّها:

– كان عنوان الرواية صادقًا يفتح آفاقًا رحبةً بين ما كان أسطوريًا بالأمس وما هو تاريخيٌّ اليوم... لتبقى صورة **لونجة** وهي تحارب الغول أبهى في الذاكرة بعيدًا عن النسيان، مثلما تبقى صورة الثورة التحريرية شاهدةً على عصر فرنسا الذي كان عرشًا غاب وسقط.

– يبقى الحديث دائمًا عن نضال المرأة الثورية حدثًا بارزًا ينتظر إماطة اللثام عنه لاستحقاقٍ شرفيٍّ وشرعيٍّ، يعكس الوعي المشترك بين المرأة والرجل في تقاسم أعباء المسؤولية لتحقيق الحرية والاستقلال التي كانت رهنَ إشارةٍ صادقةٍ من الطرفين. وهو ما حاولتْ **زهور ونيسي** بيانه في رواية **لونجة والغول**.

– يبقى موضوع الثورة التحريرية مجيدًا كتاريخها عند مختلف الشعراء والأدباء بمن فيهم العنصر النسوي الذي تفاعل معها، لذا يجب إعادة إحياء موضوع الثورة التحريرية أكثر في مختلف مجالات العلوم والفنون، وبيان قيمها الثورية والوطنية ومبادئ الوحدة والتضامن... وطرح قضايا وإشكاليات عن تصوّراتٍ ورؤى ثوريةٍ متجدّدة.

هوامش:

[1] - ريمة مرزوق: الأبعاد السياسية للثورة الجزائرية على المستوى الإقليمي والدولي، الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية – قراءات ومقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، 24 فيفري 2022، معسكر، منشورات أنزار، بسكرة، الجزائر، مارس 2022، ص 141.

[2] - مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 – 1962، دراسة موضوعية فنية، 1998، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 279.

[3] - عائشة سبيحي: الثقافة الوطنية في ثورة التحرير الجزائرية (1954 – 1962)، الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية – قراءات ومقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 354.

[4] - ريمة مرزوق: الأبعاد السياسية للثورة الجزائرية على المستوى الإقليمي والدولي، الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية – قراءات ومقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 141.

[*] اتّخذت الثورة التحريرية عدّة طرق ووسائل استراتيجية وإعلامية لتوضيح القضية الجزائرية، ينظر للمزيد من التفاضيل: الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية – قراءات ومقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 315 وما بعدها.

[5] - مخلوف عامر: الرواية والتحوّلات في الجزائر، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ص 108.

[6] - مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، الطبعة الأولى، ص26.

[7] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تأريخًا وأنواعًا وقضايا وأعلامًا)، 1995، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 253.

[8] - نورة بوغقال: الثورة التحريرية في الأدب النسوي الجزائري، زليخا السعودي أنموذجًا، الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية – قراءات ومقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 402.

[9] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 255.

[10] - المرجع نفسه، ص 257.

[11] - جميل حمداوي: شعرية النص الموازي، عتبات النص الأدبي، 2014، منشورات المعارف، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ص 49.

[12] - نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءات نصية تداولية حجاجية، 2012، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ص 339.

[13] - نقلاً عن: عز الدين جلاوجي: زهور ونيسي، دراسة نقدية في أدبها، بقلم محمّد عزّام، 2007، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ص 46.

[14] - زهور ونيسي: لونجة والغول، 1994، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر، الجزائر، الطبعة الأولى، ص 142.

[15] - الرواية، ص 103.

[16] - الرواية، ص 142.

[17] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 257.

[18] - شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، 2005، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ص 23.

[19] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 254.

[*] ينظر للمزيد من التفاصيل: الرواية، ص 21 وما بعدها.

[20] - الرواية، ص 188

[21] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 254.

[22] - الرواية، ص 242.

[23] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 256.

[24] - تاونزة محفوظ: المحافظ السياسي في ثورة التحرير الجزائرية (1956 – 1962)، الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية – قراءات ومقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 27.

[25] - الرواية، ص 3.

[26] - الرواية، ص 33.

[27] - الرواية، ص 188.

[28] - الرواية، ص 193، 194.

[29] - الرواية، ص 221.

[30] - الرواية، ص 212.

[31] - بامية عايدة أديب: تطوّر الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ترجمة محمّد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 205.

[32] - صالح مفقودة: المرأة الثورية في الرواية الجزائرية، لونجة والغول لزهور ونيسي نموذجًا، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، العدد الثاني، جوان 2002، ص 24.

[33] - باديس فوغالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، 2002، منشورات اتحاد الكتّاب الجزائريين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ص 67.

[34] - عجناك بشي يمينة: قضية المرأة في الخطاب النسائي في الجزائر، كتابات زهور ونيسي أنموذجًا، ص 175.
[35] - ينظر: زهور ونيسي: قضية المرأة والتحرّر والثورة الاجتماعية، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 26، أفريل ماي 1975، ص 75.
[36] - الرواية، ص 211.
[37] - الرواية، ص 213.
[38] - الرواية، ص 70.
[39] - الرواية، ص 71.
[40] - الرواية، ص 120.
[41] - الرواية، ص 09.
[42] - الرواية، ص 68.
[43] - الرواية، ص 103.
[44] - صالح مفقودة: المرأة الثورية في الرواية الجزائرية، لونجة والغول لزهور ونيسي نموذجًا، مرجع سابق، ص 29.

قائمة المراجع:

الكتب:

1- باديس فوغالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، 2002، منشورات اتحاد الكتّاب الجزائريين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى.
2- بامية عايدة أديب: تطوّر الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ترجمة محمّد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
3- جميل حمداوي: شعرية النص الموازي، عتبات النص الأدبي، 2014، منشورات المعارف، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب.
4- زهور ونيسي: لونجة والغول، 1994، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر، الجزائر، الطبعة الأولى.
5- شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، 2005، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى.
6- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تأريخًا وأنواعًا وقضايا وأعلامًا)، 1995، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
7- عز الدين جلاوجي: زهور ونيسي، دراسة نقدية في أدبها، بقلم محمّد عزّام، 2007، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية.
8- مخلوف عامر: الرواية والتحوّلات في الجزائر، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا.
9- مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، الطبعة الأولى.

10-مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954 – 1962، دراسة موضوعية فنية، 1998، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
11-نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءات نصية تداولية حجاجية، 2012، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى.

المجلات والملتقيات:

12-مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 26، أفريل ماي، 1975.
13- مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، العدد الثاني، جوان 2002.
14-الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية – قراءات ومقاربات- من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية، 24 فيفري 2022، معسكر، منشورات أنزار، بسكرة، الجزائر، مارس 2022.